واجهة الفصل الثالث

توطئة :

القصص القرآني من أكثر مواطن القرآن الكريم تصويراً ، ذلك أنّ بنائه في حدّ ذاته يتعمّد أسلوب التصوير بل و مغزاه هو ذكر قصص الأولين مصوّرة كأنها تمثل أمام ناظري المستمع لها ... للاستفادة و الاعتبار ، و الصورة القرآنية أو التصوير الفني من أكثر الأساليب التي تضفي على تلك القصص الحياةَ و تجعلها ماثلةً أمام المستمع ، مشدوهاً بتشبيهاتها و استعاراتها و كناياتها ، منفعلاً متأثراً بعواطفها الترهيبية و الترغيبيّة ، و قد حاولنا في هذا الفصل أن نستجلي بعض تلك الصور البيانية و نقارب أبعادها الدلالية ، فاعتمدنا –في ذلك – على مجموعة من التفاسير نذكر منها :

- ✓ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (نسخة محققة) لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي .
- ✓ في ظلال القرآن للشيخ الشهيد سيد قطب إبراهيم (رحمه الله) .
- ✓ تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي .
- ✓ لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري .

كما تجدر الاشارة إلى أنّ عدم التناسب بين المبحثين الأول و الثاني –من حيث الحجم– ترجع إلى كون المبحث الأول مقدمة أو أرضيّةً للمبحث الثاني .

المبحث الأول : بين يدي قصّة موسى عليه السلام

من أجل معالجة و دراسة الصورة البيانيّة في قصة موسى عليه السلام ، كان لزاماً أن نبيّن أهم أحداث هاته القصّة (مدونتنا في الدراسة) ، في المبحث الأول – بين يدي قصّة موسى عليه السلام – ليكون ذلك بمثابة الدخول في الجو العام لتلك الأحداث التي وردت بين ثناياها ، و قد حاولنا في هذا العرض السريع للقصّة أن نركّز على إيراد الأحداث الواقعة لسيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ، فيتحقق بذلك هدف عرض القصة من جهة ، كما حاولنا أن نركز أثناء هذا العرض على مواطن التكرار في القصة و أسرار الاختلاف بينها ، حتى يكون استكمالاً لمبحثنا الأخير – المتعلق بالتكرار – في الفصل السابق .

مراحل سير قصّة موسى عليه السلام :

نود في هذا المقام أن نبين سير تلك المراحل و أسرار الاختلاف في الحادثة الواحدة الواردة في معرضين أو أكثر :

1 – وردت إشارة قصيرة في سورة الأعلى ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19) ﴾[1] ، و كذلك في سورة الفجر : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13)﴾[2]

2 – و قد بدأ في سورة الأعراف التفصيل الأول للقصة في معرض قصص مشترك مع نوح و هود و لوط و شعيب ، و قد بدأت القصة هنا برسالة موسى و هارون إلى فرعون وملئه ، يقول عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) ﴾[3] ، ثم ذُكرت معجزة العصا و اليد البيضاء و جمع السحرة و المباراة بينهم و بين موسى عليه السلام و غلبته عليهم ، و إيمانهم به و تعذيب فرعون بني اسرائيل بعد ذلك ، و تسليط الجراد و القمل و الضفادع و الدم على فرعون و قومه ، و استغاثتهم بموسى عليه السلام و كف الأذى عنهم ، و من ثمة العودة إلى تعذيب بني اسرائيل ، و خروج هؤلاء من مصر ثم طلبهم من موسى عليه السلام أن يتّخذ لهم إلهاً كما للمصريين آلهة ، و تذكيره لهم بربهم ، ثم ميعاد موسى عليه السلام مع ربه بعد ثلاثين ليلة زيدت

1 الأعلى :18-19 .
2 الفجر : 10-13 .
3 الأعراف :103 .

إلى أربعين و طلبه رؤية ربّه ودكّ الجبل ، و انصعاقه عليه السلام و إفاقته ثم اختيار سبعين رجلاً منهم لميقات ربه و غِشيتهم بالجبل لمّا طلبوا رؤية الله جهرة و إفاقتهم ثم دعاؤهم بطلب الرحمة فالردّ عليهم بأن الرحمة قد كتبت للمؤمنين الذين يتبعون النبي الأمي[1] .

3 – و ترد إشارة في سورة مريم عن موسى عليه السلام و مناجاته لربه : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) ﴾[2] ، لكن قبلها و في سورة الفرقان نجد إشارةً لرسالة موسى عليه السلام حول تكذيب المشركين له في قوله جل جلاله : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)﴾[3] .

4 – و تعتبر سورة طه من السور التي تفيض بدلالاتٍ و أسرارٍ مخبوءة في ثنايا هذه القصة حيث شغلت – القصة – ما يربو عن تسعين آية ، ابتداءً من الآية التاسعة ، و المشهد هنا يبدأ من رؤيته النار من جانب الطور ، أي قبل مشهد الرسالة في سورة الأعراف ، يقول عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) ﴾[4] ، و جاء الاستفهام هنا للتقرير، في قوله :﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ و معناه أليس قد أتاك حديث موسى ، و قيل معناه : قد أتاك حديث موسى ، و في سياق هذه القصة تسلية للنبي ﷺ لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوة ، و تحمّل أثقالها و

1 محمود السيد حسن ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 132 .

2 مريم :51–53 .

3 الفرقان :43–44 .

4 طه :9–13 .

مقاساة خطوبها و أنّ ذلك شأن الأنبياء قبله ، يقول الشوكاني في هذا المقام : " والمراد بالحديث القصة الواقعة لموسى عليه السلام ، و المراد بالأهل هنا امرأته و الجمع لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم ، و معنى امكثوا أقيموا مكانكم ، و عبر بالمكث دون الإقامة لأن الإقامة تقتضي الدوام و المكث ليس كذلك "[1] ، و بعد أن يكلفه ربه بالذهاب إلى فرعون يطلب من ربّه أن يشدّ أزره بأخيه هارون و يكون وزيراً له ، فيذكره الله عز وجل بنعمته عليه في مولده ، و ردّه إلى أمه ثم تسير القصة بمثل سيرورتها في سورة الأعراف .

5 – أما في سورة الشعراء فقد زادت على سابقاتها بتفصيلين : الأول ذكر قتلِ موسى عليه السلام لرجلٍ من المصريين فهو يخشى أن يُؤاخذ به ، و تذكير فرعون له بأنه قد رُبِّيَ فيهم وليداً و فعل هذه الفعلة و مضى ، و الثاني ذكر انفلاق البحر كالطود العظيم ، و كل تلك الأحداث المذكورة تحمل في طيّاتها اختلافات في التصوير و تنويعٍ في التعبير من خلال الحوار بين فرعون و موسى عليه السلام و السحرة .

6 – و جاءت سورة القصص جامعة لمشاهد قصة موسى عليه السلام من مولده مروراً بكل المشاهد حتى خروجه إلى أرض مدين و زواجه بإحدى ابنتي شعيب يقول عز وجل: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) ﴾[2] ، كما عرضت السورة لموقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام و استهزائه به حيث يقول المولى عز وجل على لسان فرعون : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) ﴾[3] ، " و لم يقل اطبخ لي الآجر لأنه كان

1 الشوكاني : فتح القدير ، ج3 ، ص345 .

2 القصص : 27 .

3 القصص : 38 .

أول من عمل الآجر أي الطين ، فهو يعلّمه الصّنعة ، و لأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن و علو طبقته و أشبه بكلام الجبابرة ، و الطلوع و الاطّلاع الصعود ، يقال طلع الجبل و أطلع بمعنى واحد "[1]

7 – في سورة يونس عرض قصير – في وسط قصص مشترك – لبيان عاقبة التكذيب ، وقد ذكرت فيه حلقة السحرة باختصار ، و تجاوز بني اسرائيل البحر ، و إتباع فرعون لهم وغرقه ، ولكن الزيادة كانت في وصف حادثة الغرق ، يقول ﷻ :﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) ﴾[2] ، و لم ينفعه هذا الإيمان لأنّه وقع منه بعد إدراك الغرق له ، و لم يقل اللعين آمنت بالله أو برب العالمين ، بل قال آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل ، لأنّه بقي فيه عرق من دعوى الإلهيّة ، و هذا من أبلغ ما ذكره القرآن لأنّ الله تعالى نزّه اسمه المعظّم أن يجري على لسان فرعون الذي باء بغضبٍ من اللهِ فعدِمَ رحمته تعالى ، ولذلك كان الردُّ عليه في نفس السياق القرآني[3] : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ(92)﴾[4] ، في تفسير هذه الآية يقول الشوكاني : " قُرِئ ننجيك بالتخفيف ، والجمهور على التثقيل ، و قرأ اليزيدي ننحيك بالحاء المهملة من التنحية ، و حكاها علقمة عن ابن مسعود ، ومعنى ننجيك بالجيم نلقيك على نجوة من

1 الزمخشري : الكشاف ،ج1، ص124 .

2 يونس : 90 .

3 محمود السيد حسن ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 136 .

4 يونس :91-92 .

الأرض و ذلك أن بني اسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غرق ، و قالوا : هو أعظم شأناً من ذاك ، فألقاه الله على نجوة من الأرض حتى شاهدوه "[1] .

8 – تمتاز قصة موسى عليه السلام في سورة غافر بذكر تفصيلٍ لم يأتِ في غيرها و هو ظهور رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ، يدافع عن موسى عليه السلام ويشير عليهم ألّا يقتلوه فقد يكون على صراط مستقيم ، بعد أن عزم فرعون قتله انتقاماً للمصري الذي قتله موسى عليه السلام بالخطأ ، يقول الله عز وجل على لسان فرعون : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾[2] .

9 – و في سورتي فصّلت و الزخرف إشارتين سريعتين ففي الأولى يقول عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (45)﴾[3] ، وفي الثانية يزيد تفصيل آخر حيث أنّ فرعون يتمادى في غروره فيستفهم قاصداً تقرير ربوبيته و عزته ، فيقول الله عز وجل على لسانه : ﴿ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) ﴾[4] .

10 – دارت أحداث القصة في سورة الكهف مع الخضر عليه السلام حيث طلب منه موسى عليه السلام أن يصحبه ليستفيد من علمه ، فوافق الخضر شرط ألاّ يسأله موسى حتى يُحدث له منه ذكرا ، إلاّ أنه لم يصبر لما رأى من تصرفات الخضر ما لم يدرك كنهها ، ، يقول عز وجل: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ

1 الشوكاني : فتح القدير ،ج2 ، ص448 .
2 غافر :26 .
3 فصّلت : 45 .
4 الزخرف :51–52 .

شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) ﴾ [1] ، و يستمر الحوار على هذه الحال من توافق رؤوس الآي و الإيقاع العذب الذي يتخلل الفواصل و سلاسة الكلام ، ويأتي الخضر عليه السلام بخوارق يذهلُ لها موسى ومن خلال ذلك يبدو عنصر التشويق في مجرى الأحداث ، و العلماء يذكرون أن الخضر يمثل الحقيقة و موسى يمثل الشريعة[2] .

11 – قصة البقرة التي أمر الله بني اسرائيل بذبحها فجعلوا يتلكّؤون ، و يسألون عن صفاتها حتى استنفذوا المعاذير ، يقول ﷻ : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)﴾[3] ، تعتبر تفصيلاً جديداً و مُميّزاً ، بل و سبباً لتسمية سورة البقرة .

12 – مشهدٌ جديد ينضاف إلى القصة من خلال سورة المائدة و هو مشهد الوقوف على أبواب الأرض المقدّسة (فلسطين) لا يدخلون ، يقول ﷻ : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) ﴾[4] ، و قد كان هذا القول منهم فشلاً و جبنًا أو عنادًا و جرأةً على الله و رسوله كما يدل عليه قوله ﷻ : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، قالوا هذا جهلاً بالله عز و جل و بصفاته و كفراً بما يجب له ، و يتضح أنّ طلبهم هذا جاء للاستهانة و السخرية لا التحقيق ، و قول موسى عليه السلام ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ تحسراً و حزناً و استجلاباً للنصر من الله ﷻ ، و أتبع ذلك بالأسلوب الخبري في قوله : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، و هذا قضاءٌ كتبه الله عليهم على سبيل العقاب و الإنذار ، أي أنها

1 الكهف : 67–70 .

2 محمود السيد حسن ، المرجع نفسه ، ص 138 .

3 البقرة : 71 .

4 المائدة :24–26 .

محرمة على هؤلاء العصاة بسبب امتناعهم عن قتال الجبّارين ، و اختلف أهل العلم هل كان معهم موسى و هارون أم لا ؟ فقيل لم يكونا معهم لأنّ التيه عقوبة ، وقيل كانا معهم لكن سهل الله عليهما ذلك[1] .

1 محمود السيد حسن ، المرجع نفسه ، ص 140 .

المبحث الثاني : الأبعاد الدّلاليّة للصورة في قصّة موسى عليه السلام

و بعد هذا التقديم للقصّة (أو المدونة) ، سنقوم في هذا المبحث بمحاولة لاستشفاف أركان البيان من مجاز و كناية و استعارة و تشبيه ضمن آيات (المدونة) و ما تضفيه تلك الأركان من أبعادٍ دلالية ساهم الأسلوب القرآني التصويري في تجليتها و تجسيدها من خلال الاستعارات البديعة ، و الكنايات الموحية ، و التشبيهات المعجزة ...

الأبعاد الدلالية للصورة في المجاز

تعريف المجاز:

لغة: تتفق المعاجم على أنّ جاز الموضع بمعنى سار فيه وسلكه، و المجاز الطريق إذا قُطِع ، والمجاز اسم للمكان الذي يجاز فيه، فالمعنى لا يخرج عن الانتقال من مكان إلى آخر، و أسقط هذا المعنى على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر[1].

اصطلاحا: يعرفه " العلوي(749هـ)" بقوله : " هو الكلمة المستعملة في غير ما وُضِعت له في اصطلاح التخاطب بتأويلٍ على جهة الانفراد "[2].

وعرفه "عبد القاهر (471هـ)" بأنه :" كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها ، لملاحظة بين الثاني والأول ..... ومعنى الملاحظة : هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن إلاّ أنّ هذا الإسناد يقوى ويضعف [3] .

وعرفه " القزويني (739هـ) " بأنه " الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادته " [4] ، فقوله : "على وجه يصح " احتراز عن الخطأ .

و أحسن ما قيل فيه بأنه : " ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطبُ لعلاقة بين الأول و الثاني " [5] .

1 الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 104 .

2 العلوي يحيى بن حمزة ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، المقتطف ، القاهرة ، 1914م، ص302 .

3 الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ص 325.

4 القزويني ، الإيضاح شرح تلخيص المفتاح ، ج2 ، ص122 .

5 العلـــوي ، الطـراز، ج1 ، ص 36.

المجاز العقلي:

وهو المجاز الذي " يمثل استجابة واضحة لمنطق العقل وتصوراته فما وافق تصورات العقل فهو حقيقة وما لم يوافقه إلاّ بتأويل فهو مجاز " [1] .

ويعد "عبد القاهر الجرجاني" أول من تناول هذا المصطلح بالتعريف إذ عرفه بأنه "كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل" [2] .

وعرفه " السكاكي " بأنه " الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه بضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع " [3] .

فالمجاز العقلي : " هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه ، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي " [4].

أما العلاقة المانعة من إرادة الإسناد الحقيقي فأشهرها ست : [5]

1. المكانية: ما يسند فيها الفعل أو ما في معناه إلى مكان المسند إليه .
2. الزمانية: ما يسند فيها الفعل أو ما في معناه إلى زمان حدوث الفعل .
3. السببية: ما يسند فيها الفعل أو ما في معناه إلى سببه .
4. المصدرية: ما يسند فيها الفعل إلى مصدره .

---

1 المجاز في البلاغة العربية ، ص 13.

2 أسرار البلاغة: 332.

3 مفتاح العلوم: 208.

4 غازي يموت ، علم أساليب البيان، ، دار الاصالة، بيروت، لبنان، 1983م ، ص 205.

5 ينظر : نفسه .

5. الفاعلية : ما يسند فيها الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، أي يستعمل المفعول والمقصود اسم الفاعل.
6. المفعولية: ما يسند فيها الوصف المبني للفاعل الى المفعول، أي يستعمل الفاعل والمقصود اسم المفعول.

المجاز المرسل:

وهو مجاز لغوي علاقته غير المشابه ، وقيل : هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي ، لعلاقة غير المشابه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[1] .

وسمي هذا المجاز مرسلا لإرساله عن التقييد فلم يقيد بعلاقة واحدة مخصوصة وإنما له علاقات كثيرة ، تدرك من خلال الكلمة التي في الجملة [2] .

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة وقد اختلف علماء البيان في عدد علاقاته ولكن أكثرها شيوعا وانتشارا [3] :

1. الكلية : وهي أن يذكر الكل ويراد به الجزء .
2. الجزئية: وهي أن يذكر الجزء ويراد به الكل.
3. السببية: وهي أن يطلق السبب ويراد به المسبب.
4. المسببية: وهي أن يذكر المسبب ويراد به السبب.
5. الماضوية: اعتبار ما كان في الماضي وما سبق من الزمان.

1 ينظر : علم أساليب البيان ، ص217 .

2 ينظر ، نفسه .

3 ينظر : مفتاح العلوم ، 194- 196.

6. المستقبلية: اعتبار ما سيكون في المستقبل.
7. الحالية: وهو أن يذكر الحال والمراد به المحل والمكان.
8. المحلية والمكانية: وهو أن يذكر المحل ومحله الكائن فيه والمراد منه الحال فيه.
9. تسمية الشيء باسم ضده.
10. الملزومية: وهي إطلاق اسم الملزوم على اللازم.
11. الخصوص: وهي إطلاق اسم الخاص على العام.
12. العموم: وهي إطلاق اسم العام على الخاص.

النموذج الأول:

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي **فَاضْرِبْ** لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾[1].

المعنى العام :

أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام أن يسري مع بني إسرائيل من مصر ليلاً لإنقاذهم من قبضة فرعون فأمره أن يضرب البحر بعصاه ليصير لهم طريقاً يابساً أمنا ، لا يخافون فيه أن يدركهم فرعون وجنوده ولا يخشون الغرق بالماء.

الصورة:

في قوله ﷻ :﴿ **فَاضْرِبْ** لَهُمْ طَرِيقًا ﴾ مجاز.

نوع الصورة:

مجاز عقلي و ذلك بإضافة الضرب للطريق .

1 – طـه : 77.

الأبعاد الدلالية:

✓ في الآية تصوير لمشهد النجاة بتلك المعجزة التي منَّ الله بها على بني إسرائيل، فصور المولى سبحانه وتعالى مشهد البحر يسفر عن طريق لا ماء فيه ، مطمئنا إلى أن عناية اللّه ترعاهم فلا يخاف أن يدركه فرعون وجنوده ، ولا يخشى من البحر الذي اتخذ له طريقا يابسا فيه ! ففيها ذكر مجمل بدون تفصيل ولا تطويل لمشهد الهروب والنجاة .

✓ فيها تصوير للقدرة الإلهية فكما أنها أجرت الماء وفق الناموس الذي أرادته ، ها هي تكشفه لموسى عليه السلام و قومه في هذا الوقت عن طريق يابس فيه ! .

النموذج الثاني:

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[1].

المعنى العام :

هذه قصة محاورة بين فرعون وملئه في شأن دعوة موسى أراد به أن يثبتهم على عقيدة إلهيته مع إبطال لقول موسى عليه السلام ، حيث أظهر لهم فرعون أن دعوة موسى لم تُرجَ عنده وأنه لم يصدق بها ، فيريهم أنه أحاط علمُه بكل شيء ، فلو كان ثمة إله غيره لعلمه ، ثم أمر وزيره أن يبني له صرحاً يبلغ به عنان السماء ليرى الإله الذي زعمه موسى حتى إذا لم يجده رجع إلى قومه فأثبت لهم عدم إله في السماء إثبات معاينة ، أراد أن يظهر لقومه في مظهر المتطلّبِ للحق المستقصي للعوالم ، حتى إذا أخبر قومه بعد ذلك بأن نتيجة بحثه أسفرت عن كذب موسى ازدادوا ثقة ببطلان قول موسى عليه السلام .

1 – القصص : 38.

الصورة :

قوله ﷻ : ﴿ **فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ** عَلَى الطِّينِ ﴾ فيه مجاز.

نوع الصورة:

مجاز عقلي بإسناد الإيقاد على الطين إلى هامان ، باعتبار أنه الذي يأمر بذلك .

الأبعاد الدلالية:

- ✓ إن سياق هذا المشهد يصور لنا سوء انتظام تفكيره و تفكير ملئه ، وضعف آراء قومه ، إذ أن الخطاب الذي ألقاه فرعون على ملئه يصور الكلمة الفاجرة الكافرة ، التي يتلقاها الملأ بالإقرار والتسليم ، ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة ، كما يصور لنا القهر ، الذي لا يدع لرأس أن يفكر ، ولا للسان أن يعبر ، وهم يرونه بشرا مثلهم يحيا ويموت ، ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب ، ثم يتظاهر بالجد في معرفة الحقيقة ، والبحث عن إله موسى ، وهو يلهو ويسخر : «فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى » .. في السماء كما يقول! وبلهجة التهكم ذاتها يتظاهر بأنه شاكٌ في صدق موسى عليه السلام ، ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقب ليصل إلى الحقيقة : «وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ»!
- ✓ المجاز في نسبة إيقاد النار على الآجر و البناء إلى هامان بصيغة أمره ، فيه تصوير على العناية بالشروع وابتدأ بأول أشغال البناء للدلالة على عدم التأخر في ابتداء البناء الذي يتأخر عادةً إلى ما بعد إحضار مواده فلذلك أمره بالأخذ في إحضار تلك المواد التي أولها الإيقاد، أي إشعال التنانير لطبخ الآجر. وعبر عن الآجر بالطين لأنه قوام صنع الآجر وهو طين معروف.

✓ هذا الاستعجال في الأمر وكأنه لم يأمره ببناء من حجر وكلس قصدا للتعجيل بإقامة هذا الصرح المرتفع إذ ليس مطلوبا طول بقائه بإحكام بنائه على مر العصور بل المراد سرعة الوصول إلى ارتفاعه كي يشهده الناس، ويحصل اليأس ثم ينقض من الأساس.

✓ و في الآية أيضا تصوير و تجسيمٌ لأشغال البناء عن طريق الكناية بذكر مقدماته وهي إيقاد الأفران لتجفيف الطين المتخذ آجرا.

✓ فالصورة تجسد مشهدا حيا ، يموج بالحركة وبالحوار ، ويزخر بالانفعالات والسمات ، و يكشف عن طبيعة المعركة بين الدعوة إلى «رَبِّ الْعالَمِينَ» وبين الطواغيت المتسلطة على عباد اللّه ، المدعية للربوبية من دون اللّه.

النموذج الثالث:

قال الله ﷻ : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ **يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ** وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[1].

المعنى العام:

يخبر المولى ﷻ عن مصير الطاغية فرعون وقومه إذ كان جزاؤهم المحتم هو عذاب الاستئصال بالإغراق في البحر.

الصورة:

قوله ﷻ : ﴿ **يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ** ﴾ فيها مجاز.

نوع الصورة:

مجاز عقلي بإسناد الصنع إلى فرعون لأنه الآمر بالصنع.

1 الأعراف: 137.

الأبعاد الدلالية:

تتدرج هذه الصورة في سياق مشاهد العقاب و يسدل الستار حين يأخذ اللّه بعاقبة الظلم والطغيان ويحقق وعد موسى عليه السلام لقومه ، ورجاءه في ربه ، فالسياق يختصر حادث الإغراق ، ولا يفصل أحداثه كما يفصلها في مواضع أخرى من السور ، ذلك أن الجو هنا هو جو الأخذ الحاسم بعد الإمهال الطويل فلا يعرض لشيء من التفصيل .. إن الحسم السريع هنا أوقعُ في النفس و أرهبُ للحس!

✓ نسبة الصنع إلى فرعون يظهر روعة التصوير، فما بناه العمال لفرعون من البنايات العالية والقصور الشامخة في مصر وغيرها إنما كان على أمر منه ، و كفر قومه نتج أيضا امتثالا لأمره ، فخصه الله بحصول التدمير ثم أردف جنده بعده .

✓ فما يصنع فرعون وقومه له تعلق بظلم بني إسرائيل والكيد لموسى عليه السلام ، فاستعمال المولى عز وجل لكلمة يصنع له بُعدان :

✓ البعد الأول هو أنّ الصناعة يقصد بها المباني التي كانوا يبنونها للمصريين أو يصنعون اللبِن لها ، ومنها الصرح الذي أمر هامان ببنائه ، ليرقى به إلى السماء فيطلع إلى إله موسى .

✓ و البعد الثاني هو أن الصناعة يقصد بها المكائد السحرية والصناعية التي كان يصنعها السحرة ، لإبطال آياته أو التشكيك فيها كما قال جل جلاله : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [1].

وأما أسباب هذا التدمير لذلك الصنع والعروش فأولها : الآيات التي أيد الله تعالى بها موسى عليه السلام من الطوفان والجراد وغيرها – ، وتسمى في التوراة الضربات ، وفيها من المبالغة في ضررها وتخريبها .

1 طـه : 69.

ثانيها : إنجاء بني إسرائيل ، وحرمان فرعون وقومه من استعبادهم في أعمالهم ، وثالثها : هلاك من غرق من قوم فرعون ، وحرمان البلاد وسائر الأمة من ثمرات أعمالهم في العمران ، هذا هو المعروف منها ، وما ظلمهم الله تعال بذلك ، ولكنهم ظلموا أنفسهم ، فقد أنذرهم موسى عليه السلام ، كل ذلك ليتقوا سوء عاقبته فكذبوا بالآيات ، وأصروا على الجحود والإعنات.

النموذج الرابع:

قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا **سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ** وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

المعنى العام:

ألقوا ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، سحروا أعين الناس الحاضرين ، أوقعوا في قلوبهم الرهب والخوف ، وأصل الاسترهاب محاولة الإرهاب وطلب وقوعه بأسبابه ، وقد قصدوا ذلك فحصل بسحر مظهره كبير ، وتأثيره في أعين الناس عظيم .

الصورة:

قوله عز وجل : ﴿ **سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ** ﴾ فيه مجاز.

نوع الصورة:

مجاز عقلي بتعدية فعل {سحروا} بكلمة {أعين} لأن الأعين آلة إيصال التخييلات إلى الإدراك ، وهم إنما سحروا العقول .

1 الأعراف: 116.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ الآية تمثيل لمشاهد حية ، تموج بالحركة وبالحوار ، و تزخر بالانفعالات والسمات ، تصور المباراة مع السحرة .
- ✓ نسبة السحر للعين يصور حالة الذهول و الرهبة التي تصيب الحاضرين عند رؤيتهم لهذا المشهد ، فتجعلهم متأثرين بالسحر، مشدوهين بما أصابهم من التخييلات والشعوذة . و لذلك لو قيل: سحروا الناس لأفاد ذلك ، ولكن تفوت نكتة التنبيه على أن السحر إنما هو تخيلات مرئية ، موّهوا بها عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى .
- ✓ تصور الآية بهذا المجاز و الإسناد إلى العين حقيقة السحر في كونه لا يعدو أن يكون تخيلات مرئية ، مدخلها العين نحو العقل ، لذلك نسب السحر للأعين دون العقول .
- ✓ و التعبير القرآني هنا يلقي هذه الظلال وهو يصور الباطل ينتفش ، ويسحر العيون ، و يسترهب القلوب ، و يخيل إلى الكثيرين أنه غالب ، وأنه جارف ، وأنه محيق! وما هو إلا أن يواجه الحق الهادئ الواثق حتى ينفثىء كالفقاعة ، وينكمش كالقنفذ ، و ينطفىء كشعلة الهشيم ! .

النموذج الخامس:

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ **ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ** بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

1 البقرة: 54.

المعنى العام:

يأمر نبي الله موسى عليه السلام قومه بأن يقتلوا أنفسهم حتى تُقبل توبَتهم، وذلك للتكفير عن جرمهم العظيم حين عبدوا العجل من دون الله عز وجل .

الصورة:

قوله عز وجل : ﴿ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ فيه مجاز.

قوله عز وجل : ﴿ **ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ فيه أيضا مجاز.

نوع الصورة:

في قوله تعالى : ﴿ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ و قوله : ﴿ **ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ مجاز مرسل ، فالأول علاقته اعتبار ما سيكون ، أي أسلموها للقتل، والثاني علاقته جزئية .

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في هذه الآية تصوير لمشهد الكفارة التي فرضت على بني إسرائيل بأن يسلموا أنفسهم للقتل تطهيرا لها .
- ✓ أو أن المراد بقتل النفس تذليلها وكبح جماحها.
- ✓ أو المراد أن يقتل بعضكم بعضا إطلاقاً ، فأرسل عليهم زوبعة هائلة بحيث لا يرى الواحد الآخر وبالسيوف قتل بعضهم بعضاً .
- ✓ و قد يراد بقتل الأنفس أن يقتل الطائع منكم العاصي ليطهّره و يطهّر نفسه.
- ✓ ففي هذا المشهد تصوير بديع لتلك الكفارة العنيفة .. وإنه لتكليف مرهق شاق ، أن يقتل الأخ أخاه ، فكأنما يقتل نفسه برضاه ، ولكنه كذلك كان تربية لتلك الطبيعة المنهارة

الخوارة ، التي لا تتماسك عن شر ، ولا تتناهى عن منكر ، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم عليه السلام ما عبدوا العجل ، وإذْ أنهم لم يتناهوا بالكلام ، فليتناهوا بالحُسام و ليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم .

- ✓ و في القصة مشهد لشدة شوكتهم – بنو إسرائيل – ولشدّة عنادهم ولشدة اختلافهم على غيرهم ، فمع أن عقوباتهم كانت صارمة ومع هذا لا يتوبون ، بل لا يمكن أن يستسلموا ولا أن ينقادوا ولا أن يطيعوا .
- ✓ وفيها أيضا تصوير لمشهد رحمة الله عز وجل التي عمتهم فعندما نزل حكم الله تبارك وتعالى، جعل موسى عليه السلام بني إسرائيل يقفون صفوفا ، و لكنهم حين وقفوا للتنفيذ كان الواحد منهم يجد ابن عمه وأخاه وذوي رحمه أمامه فيشق عليه التنفيذ ، فرحمهم الله بأن بعث ضبابا يسترهم حتى لا يجدوا مشقة في تنفيذ القتل ، و بعد أن استفحل فيهم القتل استصرخ موسى وهارون ربهم فرحمهم الله و عفا عنهم .

النموذج السادس:

قال الله عز وجل : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً** قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[1].

المعنى العام:

يحكي المولى عز وجل موقف فرعون وقومه عندما ظهرت لهم الآيات على يد موسى عليه السلام فردوها بقولهم عنها سحر ظاهر.

الصورة:

قوله عز وجل : ﴿ **فَلَمَّا جَاءتْهُمْ ءاياتنا** ﴾ فيه مجاز.

1 النمـل: 13.

و قوله ﷻ : ﴿ **آيَاتُنَا مُبْصِرَةً** ﴾ استعارة .

نوع الصورة:

ففي قوله ﷻ : ﴿ **فَلَمَّا جَاءتْهُمْ ءاياتنا** ﴾ مجاز عقلي و ذلك بنسبة المجيء للآيات ، و في قوله ﷻ : ﴿ **آيَاتُنَا مُبْصِرَةً** ﴾ استعارة مكنية ، فقد شبه الآيات بالكائن المبصر ثم حذف المشبه به و ترك لازما من لوازمه و هو الإبصار.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في الآية تصوير رائع ، فقد جسم المولى الآيات بأن أضاف لها صفتين اثنتين لا تكونان إلا لحي متحرك مبصر ، وبثُّ الحياة في الآيات التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام ما هو إلاّ أمَارة على كثرتها من جهة و قوتها من جهة أخرى .
- ✓ و فيها أيضاً تصوير لمشهد إقامة الحجة عليهم ، و معلوم أن طباعهم لا تنصاع للحق و لا تسمع لأهله فأبوا إلا التكذيب .
- ✓ و في الآية نكتة وهي العدول عن " فلما جاءهم موسى بآياتنا " إلى ما ورد في النظم الجليل من الإشارة إلى أن تلك الآيات خارجة عن طوقه عليه السلام كسائر المعجزات وأنه لم يكن له تصرف في بعثها ، و هذا لا ينافي إسنادها إليه – موسى عليه السلام – لكونها جارية على يده للإعجاز، في قوله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم موسى بآياتنا ﴾[1] في محل آخر، وفي إضافتها إلى ضمير العظمة ما لا يخفى من تعظيم شأنها ، و مُبْصِرَةً بمعنى مُبصَرةً أي بينة واضحة.

1 القصص : 36

النموذج السابع:

قال الله ﷻ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى **فَارِغًا** إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ **رَبَطْنَا** عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

المعنى العام:

تروي هذه الآية أحداث مولد موسى عليه السلام وما حدث لأمه لما ألقته في اليم ، كما ألهمها الله ﷻ فزال عنها ما كانت تخافه عليه من الظهور عليه عندها وقتله ، لأنها لما تمكنت من إلقائه في اليم ولم يشعر بها أحد قد علمت أنه نجا.

الصورة:

قوله ﷻ : ﴿ **رَبَطْنَا** على قَلْبِهَا ﴾ فيه مجاز.

و قوله ﷻ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى **فَارِغًا** ﴾ فيه مجاز.

نوع الصورة:

مجازان عقليان ، و ذلك في لفظتي ربطنا ، فارغا.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ الآية ترفع الستار عن مشهد مؤثر تفارق الأم فيها ابنها بإلهام من المولى ﷻ ، وتعمل الرعاية الربانية عملها فترحم الأم المسكينة فتنسيها بترك التفكير فيه ، من خلال شدّ أزرها و الربط على قلبها .
- ✓ في الآية تصوير للحالة النفسية التي صاحبت مشهد الفراق والبعد في لفظة " فارغا" ، ويمكن توجيه هذه الحالة لعدّة تصورات محتملة .

1 النمل: 13.

✓ المشهد الأول: يؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها لأن قلبها فارغ من الخوف والحزن فأصبحت واثقة بحسن عاقبته و هذا لما ألهمها المولى ﷻ من أن لا تخاف و لا تحزن فيرجع إلى الثناء عليها.

✓ والمشهد الثاني : على العكس من ذلك يؤذن بتطرق الضعف والشك إلى نفسها .

✓ فالمشهد الأول يرجحه أن ذلك الربط من توابع ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن ، فإنها لما ألقته في اليم كما ألهمها الله زال عنها ما كانت تخافه عليه من الظهور عليه عندها وقتلِه لأنها لما تمكنت من إلقائه في اليم ولم يشعر بها أحد علمت أنه نجا.

✓ والمشهد الثاني يصور الفراغ بذهاب العقل ، أي لما سمعت بوقوعه في يد فرعون ذهب عقلها لِما دهمها من فرط الجزع .

✓ و هناك مشهد تصويري يشبه الثاني و هو أن الفراغ يصور فَقدَ الصبر وأنّ أم موسى لم تكن جَلِدة على تنفيذ ما أمرها الله ﷻ ، فكادت أن تُظهر أمر ابنها من شدة الاضطراب إلاّ أنّ الله ﷻ تداركَها بوضع اليقين في نفسها .

✓ و يمكن أن تجتمع أبعاد هذه التصورات في الثناء عليها بحسن ثقتها بالله ، والإشارة إلى ضعف الأمومة بالتشوق إلى ولدها ، وإن كانت عالمة بأنه يتقلب في أحوال صالحة به و بها ، و ذلك تصديقا لموعود الله ﷻ.

النموذج الثامن:

قال الله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ **ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾[1].

المعنى العام:

المراد بالآية هو إنعام الله ﷻ على موسى عليه السلام بحفظه إياه من شر فرعون ، و ردّه إلى أمه وتمييزه على سائر بني إسرائيل ، و أنه عليه السلام نظير هذا الإنعام لن يعين على جرم.

1 القصص: 17.

الصورة:

قوله ﷻ : ﴿ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ فيه مجاز.

نوع الصورة:

مجاز عقلي في نسبة الإسناد إلى السبب.

الأبعاد الدلالية:

في الآية تصوير لمشهد الإعانة المادية و المعنوية بقوله ظهيرا للمجرمين، وهي ذات تمثّلات لعدّة مشاهد تُستَقى من سياق الآية فتؤدي بعدين دلاليين :

- ✓ أنه أراد بالمجرمين المجرم الذي استغاثه و استصرخه طلباً للنجدة .
- ✓ أنه أراد بالمجرمين فرعون وقومه ، فلا يكون معيناً للكفار بأن يصحبهم ويكثِّر من سوادهم ، وقد كان عليه السلام يصحب فرعون ويركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون .

والبعد الذي يقويه المقام ويرجحه السياق هو الأول ، ولا يخفى أن ظهيراً بمعنى المعين والمُغيث والصاحب ....

النموذج التاسع:

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى **وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ** ﴾ [1].

1 القصص: 53.

المعنى العام:

المراد أن الله ﷻ لما أنزل التوراة على موسى عليه السلام بقي ذلك العلم فيهم ، و توارثوه خلفاً عن سلف ، ويجوز أن يكون المراد سائر الكتب التي أنزلها الله عليهم وهي كتب أنبياء بني إسرائيل التوراة والزبور والإنجيل .

الصورة:

قوله ﷻ : ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ مجاز.

نوع الصورة:

الإيراث أو التوريث ، مجاز مرسل عن التركة و هو من باب إطلاق السبب " التوريث" و إرادة المسبِب و هو " التركة " .

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في الآية تصوير لتركة نبي الله موسى عليه السلام وهي التوراة ، ومعلوم أن العلماء لا يورثون المال بل يورثون العلم مصداقا لقوله ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء .
- ✓ و فيها أيضا تجسيم في وراثة العلم ، وذلك في تصوير المعنوي بالمحسوس الملموس حيث تم اعتبار العلم شيئاً ملموسا يتم توريثه مثل المال و هذا لتقريب الصورة .
- ✓ المجاز في " أورثنا " يحتمل وراثة الملك و وراثة النبوة ، وقد ثبت أن اللفظ محتمل لتلك الوجوه وظاهره يدل على أن المراد إرث المال ، و لكن الأنبياء ينأون باهتمامهم عنه إلى العلم .

النموذج العاشر:

قال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي **عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾[1] .

المعنى العام:

يحكي المولى ﷻ قصة موسى عليه السلام لما كان في مدين ، حين جاءته إحدى المرأتين اللتين سقى لهما ، فوصف الله ﷻ عفتها .

الصورة:

قوله تعالى : ﴿ تَمْشِي **عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ مجاز.

نوع الصورة:

مجاز عقلي ، وذلك في استعمال الحرف على.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ قوله ﷻ : ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**﴾ ، من الآيات التصويرية التي تصور لنا امرأة كلها حياء وعفة وحشمة وتواضع ، وكل ذلك استدلّ عليه أئمة البلاغة من قوله ﷻ: ﴿**تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ لأن استعارة الفعل المضارع الحقيقي " تمشي" ، ونقل "على" من الأرض المحذوفة إلى " استحياء " بالتنكير المشعر بفخامة القصد المراد ، يرينا صورة بلاغية أعجزت الأولين والآخرين ، لذلك قال في هذه الآية بعض الباحثين : " إن المتتبع لقوله تعالى : ﴿**تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ لا يجد لها نظيراً في كافة التعبيرات الإنشائية البلاغية ، وما ذلك إلا لأن استعارة الشيء الحقيقي لمجازية الاستحياء مشعرة بالتصوير

1 الْقَصَصِ : 25 .

البياني الخاص بالصورة الفنية بكل أوجهها من حقائق السير إلى مجازات الحياء بأنواعه ، فالآية بذلك قمة من قمم الإعجاز التصويري القرآني "[1] .

- ✓ جاءته ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ﴾ مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال ، ﴿عَلَى اسْتِحْياءٍ﴾ ، في غير ما تبذُّل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء ، جاءته لتنهي إليه دعوة أبيها في أقصر لفظ وأخصره وأدله ، بقول المولى ﷻ على لسان الفتاة : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا﴾[2] ، فمع الحياء ، نجد الإبانة والدقة والوضوح في قولها ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا﴾ لا التلجلج والتعثر والربكة ، و هذا تصوير للفطرة النظيفة السليمة المستقيمة ، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطربُ الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج ، إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ، ولا تزيد .

النموذج الحادي عشر:

قال الله ﷻ : ﴿ إن قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ **الْكُنُوزِ** مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[3].

المعنى العام:

ضرب الله الأمثال للمشركين في جميع أحوالهم بأمثال نظرائهم من الأمم السالفة ، فضرب في هذه السورة لحال تعاظمهم بأموالهم مثلا بحال قارون مع موسى ، و إن مثل قارون صالح لأن يكون مثلا لأبي لهب وغيره من كفار قريش .

1 رفاعي حسن ، الإعجاز التمثيلي في آيات الوصف ، ط1 ، دار المعارف بمصر، 1994 م ، ص424 .

2 القصص : 25 .

3 القصص : 76.

الصورة:

قوله ﷻ : ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ مجاز

نوع الصورة:

قوله ﷻ : ﴿ الْكُنُوز ﴾ مجاز عقلي.

الأبعاد الدلالية:

هكذا تُرسم القصة بجميع أركانها... فتبدأ بأول عناصر تشكيل القصّة و هي "الشخصيّة" فتعين اسم " قارون " كشخصية أو بطلٍ للقصة ، و تحدد قومه " قوم موسى" كعنصر ثانٍ من عناصر القصة و هو "البيئة" ، و تقرر مسلكه مع قومه ، وهو مسلك البغي و هذا بمثابة "الأحداث" التي هي من ركائز القصة ، وتشير إلى سبب هذا البغي وهو الثراء ، و تُبين عن أهمّ العناصر التي تتبني عليها القصّة و هي " الحوار " في قوله ﷻ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ فسبحان المصوّر ، الذي جمع أركان القصة في آية واحدة ...

- ✓ ثم تمضي الآية في تصوير الأحداث والانفعالات التي صاحبتها في النفوس ، فقد كان قارون من قوم موسى عليه السلام ، فآتاه الله مالاً كثيراً ، يصور كثرته مجازاً بأنه كنوز ، و الكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول ، من أجل هذا بغى قارون على قومه ، ولا يذكر فيم كان البغي ، ليدعه مجهولاً يشمل شتى الصور و الأبعاد ، فربما:
- ✓ بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان .
- ✓ و ربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال .

✓ كما أننا نلمس كناية عن الثراء الفاحش ، في قوله ﷻ : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ ، حيث أنّ سعة رزقه و فُحش ثرائه بلغ حداً خيالياً ، صوّره المولى ﷻ في أنّ مفاتيح الخزائن التي تحوي الكنوز ، ثقيلة إلى درجة أنّها تعيي المجموعة من الرجال الأقوياء ...

الأبعاد الدلالية للاستعارة

الاستعارة في اللغة : مِن استعار المال ، أي : طلبه عاريةً [1] ، " أي : استعارةً " .

أما في الاصطلاح: فقد عرفها " السكاكي" بـ " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبَّهِ بهِ ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبَّه ما يخصّ المشبه به " [2] . وهو التعريف الراجح ، لشموله التصريحية والمكنية من أقسام الاستعارة .

أقسامها :

1- **الاستعارة التصريحية :** وهي " أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبَّهُ به " [3] ، فهي ما صرح فيه بلفظ المشبه به دون المشبه ، كقول المتنبي :

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

فقد شبَّه ممدوحه بالبحر مع العطاء ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به ، وهو البحر للمشبه ، وهو الممدوح ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة فيه : " فأقبل يمشي في البساط " [4] .

2- **الاستعارة المكنية :** وهي " ما حذف فيها المشبه ورمز له بشيء من لوازمه"[5] ، مثل قوله ﷻ : ﴿ ربّ اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾ .

---

1 ينظر : اللسان : المادة .

2 السكّاكي ، مفتاح العلوم 196.

3 نفسه ، ص 198 .

4 ينظر: نفسه ، 196 – 198 .

5 نفسه 199 .

النموذج الأول:

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَمَّا **سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ** أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[1].

المعنى العام:

بيّن اللّه ﷻ لنا ما كان من حال موسى عليه السلام عند سكوت الغضب ، وسكون النفس و هدأة البال ، وإذا كان موسى سريعَ الغضب حاد الطبع ، فهو أيضا سريعُ العودة إلى الحلم حينما يعود الحق إلى نصابه ، ويعدل الظالم عن ظلمه .

فلما سكنت ثورته "أَخَذَ الْأَلْوَاحَ" التي ألقاها على الأرض حال شدة الغضب عند مشاهدة طائفة من قومه عاكفين على عبادة العجل "وَفِي نُسْخَتِهَا" المكتوب عليها التوراة "هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ".

الصورة:

﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ**﴾ استعارة .

نوع الصورة:

في قوله : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ استعارتان :

1- استعارة تصريحية تبعية : بتشبيه السكون بالسكوت .

2- استعارة مكنية : في تشبيه الغضب بإنسان ناطق .

---

1 الأعــراف : 154 .

الأبعاد الدلالية:

✓ إن هذه الاستعارة ، وهي إسناد السكوت إلى الغضب ، هي استعارة معقول للمشاركة في أمر معقول ، وهي واحدة من خمس استعارات :

فالمستعار السكوت ، والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، والمعنى : " ولما زال عن موسى الغضب " لأن حقيقة السكوت زوال الكلام وحقيقة زوال الغضب عدم ما يدل عليه من الكلام أو غيره في تلك الحال ، وغضب موسى عليه السلام إنما عرف هنالك من قوله : ﴿ بئسما خلفتموني من بعدي ﴾ فإن هذا الكلام كان مقدمة إلقاء الألواح ، ولما زال الكلام الدال على الغضب ، حسنت استعارة السكوت للغضب ، ولا يلزم من سكوت الغضب حصول الرضا ، فإن موسى عليه السلام لم يرض أبداً بمعصيتهم ولا ببقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة ، ولهذا أخبر المولى جل جلاله عنه بسكوت الغضب دون حصول الرضا ، وهذه الاستعارة ألطف الاستعارات الخمس لأنها استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر معقول[1].

✓ يصور لنا التعبير القرآني أن الغضب رجل قوي ، يقوم بإغراء موسى عليه السلام لما فعل ، ويقول له : قل لقومك كذا ، و ألقِ الألواح ، و جرّ برأس أخيك إليك ، ثم كفّ هذا الرجل " الغضب " عن الإغراء ، و انقطع عن التزيين ، و يرى " الزمخشري" في كشافه أن التعبير بلفظ السكوت هنا شعبة من شعب البلاغة ، إذ لا تجد النفس عند التعبير بلفظ " السكون " مثلاً تلك الهزة ولا طرفا من تلك الروعة [2] .

✓ يجسم القرآن المعنى ويهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس ، ومن روائع التجسيم في قوله عز وجل ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ أنّك تحس بالغضب هنا وكأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة ثم سكت

1 الدرويش محي الدين ، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد ، سورية، ج 3، ص460-461.

2 الزمخشري ، الكشاف، ج2، ص128.

وكف عن دفع موسى وتحريضه ، فهذه استعارة قد بلغت من الحسن أقصاه ، وتربعت على عرش الجمال بتصويرها الفريد ، إنها قد خلعت على الغضب الحياة حتى لقد صار كائنا يثور ويسكت، بل إنساناً ذا عواطف وخلجات نفسية يدفع موسىﷺ ويحرضه ليثور فيلقي الألواح و يأخذ رأس أخيه هارون ﷺ يجره إليه.

النموذج الثاني:

قال المولى ﷻ : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى **جَنَاحِكَ** تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى ﴾[1].
وقال :﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ **جَنَاحَكَ** مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[2] .

المعنى العام:

بعد أن ذكر الله ﷻ معجزة العصا الدالة على صدق رسالة موسى ﷺ ، وهي المعجزة الأولى، ذكر المعجزة الثانية وهي معجزة اليد البيضاء التي تنقلب مشعة كشعاع الشمس، تغشى البصر.

الصورة:

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ استعارة.

نوع الصورة:

في قوله:﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ استعارة مكنية.

---

1 طـــــه : 22 .
2 القصص : 32 .

الأبعاد الدلالية:

✓ لقد وردت عدة آيات في مثل معناها مثل قوله ﷻ : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾[1] ، وعبر تعالى عن الجناح أيضا بالجيب، فقال: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ، تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[2] ،وقوله: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي **جَيْبِكَ** تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[3].

✓ استعار جناح الطير بجنب الإنسان ، وهو أن الله أمره سيدنا موسى عليه السلام أن يدخل يده في جيبه أو في جناحه "جنبه " معبراً عن الجنب بالجناح ، فقال : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرى ﴾ أي واضمم يا موسى يدك اليمنى أو كفك إلى جناحك " وهو جنبك تحت العضد " واجعلها تحت الإبط الأيسر، تخرج بيضاء لامعة ذات نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، من غير عيب كبرص أو أذى – علما بأن جلد موسى كان أسمر– معجزة أخرى غير العصا، ثم ردها فعادت كما كانت بلونها.

✓ وإذا حاول السحرة إبطال معجزة العصا، فإنه لم يحاول أحد إبطال معجزة اليد ، و ذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، تخرج تتلألأ ، كأنها فلقة قمر.

✓ تضم صورة بلاغية تتمثل في أن الأمر نتيجته هاهنا الحقيقة في الوقوع ، وليس المجاز فلو أن الأمر " اسلك " كان مؤداه مجازاً لبطل وجه من أوجه الإعجاز الخبري في صدق قوله ﷻ : ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ** ﴾ بقرينة ﴿**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ﴾ احترازاً عن البرص الذي هو بياض بسوء.

✓ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ أي أدخلها في طوق قميصك وأخرجها مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أي عيب كبرص ونحوه ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف

1 القصص 32.
2 النمـــل 12.
3 القصص 32.

الفزع ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ الخوف الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك " فتحة القميص من جهة الرأس " وعبر عن اليد بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر.

✓ تكرير هذا المشهد في سور مختلفة بصورة مغايرة في كل مرة ، بحيث يتكامل تصوير القصة بسردها في مشاهد ومواضع مختلفة ، فالجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما إليه وذلك في قوله : " واضمم إليك جناحك " وفي " واضمم يدك إلى جناحك " فالمراد من الجناح المضموم هو اليد اليمنى والمضموم إليه هو اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح.

✓ كأنما يده جناح يقبضه على صدره ، كما يطمئن الطائر فيطبق جناحه ، والرفرفة أشبه بالخفقان ، والقبض أشبه بالاطمئنان ، والتعبير يرسم هذه الصورة على طريقة القرآن.

النموذج الثالث:

قال الله ﷻ :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ** وَ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[1].

المعنى العام:

لزوم الذلة والمسكنة لليهود ، ذلك أنهم فقدوا البأس والشجاعة وبدت عليهم سمتا الفقر والحاجة مع وفرة ما أنعم الله عليهم ، فإنهم لما سئموها – النعم – صارت لديهم كالعدم ، ولذلك صار الحرص لهم سجية باقية في أعقابهم .

1 البقـرة :61 .

الصورة:

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ استعارة.

نوع الصورة:

- ✓ **استعارة مكنية** إذ شبه الذلة والمسكنة في الإحاطة بهم واللزوم بالبيت أو القبة يضربها الساكن ليلزمها ، وذكر الضرب تخييل لأنه ليس له شبيه في علائق المشبه.
- ✓ **استعارة تبعية** إذ شبه لزوم الذلة لهم و لصوقها بلصوق الطين بالحائط ، ومعنى التبعية أن المنظور إليه في التشبيه هو الحدث والوصف لا الذات .

الأبعاد الدلالية:

- ✓ استعير في الآية الكريمة كلمة الضرب ، وذلك لتؤدي دورها في التصوير، فصفة شمول الذلة لهم ، وإحاطة المسكنة بهم ، كالقبة أو الخباء المضروب على أهله ، والرواق المرفوع لمستظله ومثله في قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾[1] ، و قوله : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾.
- ✓ وقد يراد بالضرب لصوق الطين المضروب على الجدار ، فشابه لزوم الذلة والمسكنة بلصوق الطين بالحائط ، و هذا تصوير لمدى تطبّعهم بالمذلّة .
- ✓ هذه الصورة تنطوي على التجسيم حيث تبرز لك المعنى المعقول في صورة حسية كأنك تراها بعينك في صورتها الحية المتحركة وتلمسها بيدك ، فتأمل اللفظة المستعارة "ضربت" إنها بصورتها و إيحائها قد استقلت برسم تلك الصورة الفريدة المؤثرة إذ أن من يقرأها يخيل إليه صورة القبة التي مادتها المسكنة الملصقة بطين الذلة التي أحاطت بالقوم

1 آل عمران : 112.

واحتوتهم ، فاستعير الضرب المتعدي بعلى إلى الذلة والمسكنة ، واستعيرت القبة ونحوها للذلة والمسكنة ، ودل على الاستعارة ذكر لازم المستعار منه وهو الضرب المتعدي بعلى.

✓ كما أنّ "ضرب الذلة والمسكنة" تصوير لديمومة الذلّة والمسكنة عليهم .

النموذج الرابع:

قوله ﷻ : ﴿ قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا ، رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ ﴾[1].

المعنى العام :

لما آمن سحرة فرعون بموسى عليه السلام ، بعد ما رأوه من الآيات البينات ، كان فرعون قد توعَّدهم بأن يقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف ويصلّبهم في جذوع النخل، على أنَّهم آمنوا بالله عزَّ وجل قبل أن يأذن لهم ، إذ كان يرى أنَّه ربُّهم الأعلى، كفرا وطغيانا، لذا دعوا ربَّهم، ربَّ موسى وهارون، أن يلطف بهم ، فيفرغ عليهم من الصبر ما يعينهم على تحمل ما سيصيبهم من العذاب ويثبّت أقدامهم .

الصورة:

﴿ **فأفرغ** عَلَيْنا صَبْراً ﴾ استعارة .

نوع الصورة:

﴿ **فأفرغ** ﴾ استعارة تبعية تصريحية ، و صبرا قرينتها .

1 الأعـراف : 126.

الأبعاد الدلالية:

✓ في الآية تصوير نفسي، فقد صور " الصبر " في صورة الملموس والعرب تقول: أفرغت الدلو، أي: صببتُ ما فيه، ومنه استعير: " أفرغ علينا صبرا " ، وقد ورد هذا التصوير في موضعين ، عبَّر بهما القرآن الكريم عن موقفين ، احتاج في كليهما المؤمنون إلى أن يصبَّ الله عزَّ وجل عليهم الصبر صباً ، وكأنّ لسان حالهم يقول : ربَّنا أفرغ علينا كلَّ ما لديك من الصبر، وذلك لشدِّة وهول ما كان ينتظرهم من بلاء .

✓ تصور الآية مشهداً بطوليا للسحرة وقف الطغيان فيه عاجزا أمام الإيمان ، وأمام الوعي ، وأمام الاطمئنان ... يقف الطغيان عاجزا أمام القلوب التي خيّل إليه – فرعون – أنه يملك الولاية عليها كما يملك الولاية على الرقاب..! ، ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف في الأجسام ، فإذا هي مستعصية عليه ، لأنها من أمر اللّه ، لا يملك أمرها إلا اللّه ، وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار الله ؟ ، وماذا يملك الجبروت إذا اعتصمت القلوب بالله ؟ ، وماذا يملك السلطان إذا رغبت القلوب عما يملك السلطان!

✓ فيها تصوير لمشهد الطغيان والظلم الذي مارسه فرعون ليرهب به ضعاف النفوس ، فاحتاج السحرة لصبرٍ كثير وفير يفرغ على الجسم فيعمه كله ، يعم ظاهره ويتسرب إلى باطنه ، فيلقي في القلوب بردا وسلاما ، و هدوءًا و اطمئنانا.

✓ فالتشخيص في الصورة أعطى المعنى حركة حية و دائمة تتناسب مع ما أراد السحرة في دعائهم .

النموذج الخامس:

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البحرين أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فاتخذ سَبِيلَهُ فِي البحر سَرَباً * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَباً * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصخرة فَإِنِّي نَسِيتُ الحوت وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشيطان أَنْ أَذْكُرَهُ واتخذ سَبِيلَهُ فِي البحر عَجَباً * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فارتدا على آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾[1] .

المعنى العام:

لما وصل موسى عليه السلام و فتاه المكان الجامع بين البحرين نسيا حوتهما الذي حملاه معهما ، وكان الحوت قد سقط في الماء وغاص فيه ، فلما ابتعدا عن ذلك المكان ، أحس موسى عليه السلام بالجوع والتعب ، قال لفتاه : آتنا غداءنا ، لقد لقينا في هذا السفر تعباً ومشقة . فقال له فتاه : أتذكر حين جلسنا نستريح عند الصخرة ، فاني نسيت الحوت هناك ، فقد سقط الحوت في البحر ، ونسيت أن أذكر لك ذلك ، وما أنساني ذلك إلا الشيطان.

الصورة:

في قوله :﴿ **أرأيت** ﴾ الرؤية هنا مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة.

نوع الصورة:

وهي استعارة تصريحية تبعية لأنها أجريت في فعل ، وقد حذف المشبه وأقيم المشبه به مقامه والاستفهام في أرأيت للتعجب كأنه يحاول إثارة العجب في نفس موسى مما رأى من المعاجز التي لا تدور في الخلد ، ويكاد لا يصدقها العقل .

1 الكهف: 63.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في الآية تجسيم من خلال تصوير " العلم والمعرفة " المعنويين ، بمشهد حسي وهو الرؤية والإبصار، فعبر عن طلب إطلاق الرؤية بإرادة الإخبار لأنّ الرؤية سببه .
- ✓ أو أن صورة الرؤية فيه للعلمية أي عرفت ، فكأن الفتى قال بعلم موسى عليه السلام المترتب عن الرؤية .
- ✓ لما كانت المعرفة طريقها الإبصار فعبر عنها بصورة الرؤية .
- ✓ تصوير العلم و المعرفة بصورة الرؤية و الإبصار و المشاهدة، فعدل عن أخبرني و استعمل أرأيت بمعنى أبصرت أو عرفت.

النموذج السادس:

قال عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ **قُرَّتُ عَيْنٍ لِي و لَكَ** لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾[1].

المعنى العام:

يورد المولى جل جلاله قول آسية امرأة فرعون عند رؤيتها لموسى عليه السلام وكان الفرح قد غمر قلبها لأن اللّه عز وجل ألقى عليه المحبة ، فكان يحبه كل من شاهده عليه السلام فسألت فرعونَ تركه رجاء أن يكون لهما سلوى ، وتفرح به نفوسهما.

الصورة:

﴿ **قُرَّتُ عَيْنٍ لِي و لَكَ** ﴾ وهذه استعارة.

1 الْقَصَصِ : 9 .

نوع الصورة:

وهي استعارة مكنية ، فإن قرة العين بردها واستقرارها ، فجعل استعارة عن الولد.

الأبعاد الدلالية:

✓ نجد أن مشهد صورة هذا القول الكريم من " امرأة فرعون " هو مشهد شاخص بكل جوانب الصورة ، فيكاد القارىء للنص أن يحسّ بمشاعر " امرأة فرعون " ، و قلقها أمام فرعون وكبار قومه و آله ، وفي قولها : ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ ما يشعر من خلال استخدام لفظة ﴿ عسى ﴾ بمحاولتها التأثير عليهم نفسياً بأسلوب الترجي ، وفي قولها : ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾ جعلت الصورة مصورة أمام عين فرعون ، الذي يبدو أنه لم يكن له "ولد" ، و تأثيرها – أي آسيا – جعل موسى الصغير ولداً لفرعون على رجاء النفع منه ، فيه نكتة بلاغية جميلة في أسلوب الحث على فعل شيء ليكون الطلب بالتدريج .

النموذج السابع :

قوله ﷻ : ﴿ وَاحْلُلْ **عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي** ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾[1].

المعنى العام:

يطلب سيدنا موسى عليه السلام من الله ﷻ أن يزيل ما أصابه من عيب في لسانه ، فسأل سلامة آلة التبليغ ، بأن يرزقه فصاحة التعبير والمقدرة على أداء مراده بأوضح عبارة حتى يبين في الكلام ، فيفهموا عنه ما يود تبليغه لهم .

1 طـــه : 27-28 .

الصورة :

﴿ وَاحْلُلْ **عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي** ﴾ استعارة .

نوع الصورة:

استعارة تصريحية ، فقد شبه الإزالة بالحل أولاً ، و شبه عيب اللسان باللثغة بعيب الحبل بما يعقد فيه من العقد التي لا حاجة إليها ثانياً ، فمعنا استعارتان : استعارة الحل للإزالة ، و استعارة العقدة للعيب ، و في كل منهما صرح بلفظ المشبه به دون المشبه .

الأبعاد الدلالية:

✓ إن الأسلوب القرآني يحمل تاليه إلى أجواء الصور وكأنه ينظر في تفصيلات الصورة المجسّمة أمامه، وكأن المشهد يجري أمامه حيّاً متحرّكاً ، ولا شك أن الفكرة أو المعنى الذي يراد إيضاحه يكون أقرب إلى الفهم و أوضح في الذهن مما لو نقل المعنى مجرّداً من تلك الصور الحية ، فصورت الآية اللفف أو عيب اللسان ، و المتمثل في التواء عصب في اللسان يعطله عن الكلام بالعقدة المربوطة التي تحتاج إلى الحل ، ليصور عن ذلك الثقل الكامن في لسانه خِلقةً .

✓ أو أن قوله ﷻ : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ تصوير لقوة اللسان فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوتها التي هي النطق بها .

✓ كما نلمس في هذه الاستعارة تصويراً للثقل الذي يصيب لسانه أمام سطوة فرعون فأراد بحل العقدة من لسانه أن يُزيل المولى ﷻ ذلك الثقل ، حتى يؤدي عن اللّه سبحانه آمناً ، ويقول متمكناً ، فلا يكون معقودَ اللسان، و لا معكوم الفم بالخوف والمراقبة ، وذلك كقول القائل : " لسان فلان معقود " : إذا كان خائفا من الكلام ، ولسان فلان منطلق : " إذا كان مقداما على المقال " .

الأبعاد الدلالية للصورة في الكنـــاية

تعريـف الكنـاية

لغـــة : الكناية أن يكنى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره ، و " الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية يعني إذا تكلم بغيره بما يستدل عليه ، والكنى جمع كنية ، من قولك كنيت الأمر، وكنوت عنه إذا وريت عنه بغيره ، وقد كنى أي تستر من كنى إذا ورى " [1] ، من هنا " فاللفظ في الكناية ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة ، ولا هو بالخفي الذي أخفي عن عمد وقصد ، فلا تكاد تتبينه إلا بتدقيق وإمعان نظر" [2] ، فالمعنى اللغوي يدور حول الستر والخفاء لأنه أكثر تأثيرا في السامع من المعنى الظاهر الواضح.

اصطلاحـــاً : وقد عرّف علماء كثيرون الكناية ، ومنهم " السكاكي" إذ يقول : "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك " [3] ، وقال " القزويني " : "الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ " [4] .

الكناية وادٍ من أودية البلاغة ، وهي لون من ألوان الخيال، و وسيلة من وسائل التعبير البياني التي لا يجيدها إلا كل بليغ ، وهي تفتقر إلى شيء من الدقة لما فيها من الغموض[5].

---

1 لسان العرب: مادة (كنى).

2 ينظر الكناية ، فياض محمد جابر ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج (37) 1986 ، ص 121.

3 السكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص213 .

4 القزويني ، الإيضاح ، ص 318 .

5 ينظر القرآن والصورة البيانية، عبد القاهر حسين، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان،1405هـ- 1985م ، ص 217.

النموذج الأول :

قال الله ﷻ : ﴿وَلَمَّا **سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ** وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] .

المعنى العام :

أنهم لما اشتد ندمهم وحسرتهم على ما فعلوه وعلموا أنهم قد ضلوا بعبادة العجل ، و تبين لهم ضلالهم به ، و أيقنوا بالهلاك ، وتحققوا بما قاله وفعله موسى عليه السلام حتى كأنهم رأوه رأي العين ، أقسموا إنه لا يسعهم بعد هذا الذنب إلا رحمة ربهم التي وسعت كل شيء ، قائلين : لئن لم يرحمنا بقبول توبتنا والتجاوز عن جريمتنا لنكونن من الخاسرين.

الصورة:

عبارة ﴿ **سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ** ﴾ كناية.

نوع الصورة:

كناية عن صفة الندم و التحيُر، يُقال للنادم المتحير : سقط في يده.

الأبعاد الدلالية:

✓ كان مقتضى الظاهر في ترتيب الحوادث أن يتأخر قوله :﴿ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ عن قوله ﷻ ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ ، لأنهم ما سقط في أيديهم إلا بعد أن رجع موسى و رأوا فرط غضبه وسمعوا توبيخه أخاه وإياهم ، وإنما خولف مقتضى الترتيب تعجيلا بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة وتبين الضلالة موعظة للسامعين لكيلا يعجلوا في التحول عن سنتهم حتى يتبينوا عواقب ما هم متحولون إليه .

1 الأعراف : 149 .

✓ يقدم القرآن هذه الكناية في صورة مشهد تصويري فسقط في أيديهم تعبير لم يُسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب قبل هذا ، وهو تصوير للندم والحسرة ، وذكرت اليد ، وإن كان الندم في القلب لأن أثره يظهر فيها بعضّها أو بالضرب بها على أختها ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها ﴾[1].

✓ إن هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم فهي لطيفة دقيقة راسمة مصورة، فيها من روعة التعبير وجمال التصوير، فكلمة ﴿ سُقِطَ في أيديهم ﴾ أجراها القرآن مجرى المثل إذْ انتظمت على إيجاز بديع وكناية .

✓ إن المتأمل في الآية تتراءى أمامه روعة التصور، إنه الإعجاز يلبس ثوب الكناية فتنحني له هامات البلغاء ، لقد ترجمت الكناية عن الإحساس بالندم إلى صورة حية ملموسة ممثلة بشخص يعضّ يده ، فتصير يده مسقوطاً فيها ، لأن فمه وقع فيها ، فشبّه ما يحصل في القلب و في النفس بما يحصل في اليد ، و يُرى بالعين .

النموذج الثاني:

قال الله ﷻ : ﴿ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا **تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ** وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

1 الكهف : 42 .

2 الأعراف : 150 .

المعنى العام:

أخبر اللّه ﷻ موسى عليه السلام بفعل بني إسرائيل ، وهو على الطور فكان موسى أثناء رجوعه من الميقات ساخطاً شديد الحزن والأسى ، فلما قدم عليهم قال : بئسما فعلتم من بعد غيبتي، حيث عبدتم العجل واتبعتم السامري ، وتركتم عبادة اللّه وتوحيده ، وقد كنت أوضحت لكم عقيدة التوحيد ، وكان موسى عليه السلام في ذلك كله شديد الشكيمة ، قوي العزيمة، لقنهم التوحيد الخالص ، وأنكر عليهم حين طلبوا منه أن يجعل لهم إلها كغيرهم.

الصورة :

في قوله ﷻ: ﴿ **تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ** ﴾ كناية.

نوع الصورة:

كناية عن صفة هي طلب الإعراض عن العقاب.

الأبعاد الدلالية :

✓ تأمل هذه الكناية و مدى ما فيها من جمال التعبير ، و روعة التصوير ، و لطافة الإيجاز ، فقد صور المشهد الحسي المتمثل في العتاب و العقاب بصورة المشهد المجرد بأن يَشْمت به الأعداء لأجله ، وبذلك يصبح هارون عليه السلام مع عداد الظالمين ، ويحصل له ما يحصل لأعدائه الذين خالفوا أمره في غياب أخيه موسى ، وعبدوا العجل بعد أن أنكره عليهم فكرهوه لذلك ، و أن يحصل لهؤلاء الظالمين سرور بما يصيب هارون – من سخط موسى عليه السلام عليه – من الإضرار وما يسلك به من سلوك المعاتبة و يجعله شريكا لهم في فعلهم .

النموذج الثالث:

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[1].

المعنى العام:

حينما أصبح موسى عليه السلام رسولا من عند ربّه إلى فرعون و ملئه، أحسّ بمخاوف أخرى، ومحاذير قديمة ، بمفاجأته بأنه قتل في شبابه قبطيّا من قوم فرعون، فطلب من ربّه تأييده وإعانته بجعل أخيه هارون نبيّا و رسولا معه، يؤازره ويصدّقه خشية تكذيبه ، فأجاب اللّه عز وجل طلبه ، فسار الاثنان في مظلة الرعاية والحماية الإلهية إلى فرعون وملئه ، وكانت النتيجة متوقعة ، حيث بادر أولئك الفاسقون إلى وصف رسالة موسى وهارون بالسحر المفترى .

الصورة:

في قوله عز وجل : ﴿ **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾ كناية.

نوع الصورة:

كناية تلويحية عن تقويته ، لأن اليد تشتدُّ بشدة العضُد وهو ما بين المرفق إلى الكتف .

الأبعاد الدلالية:

لقد نقلت يد القدرة خطى موسى عليه السلام خطوة خطوة ، منذ أن كان رضيعاً في المهد حتى هذه الحلقة عند تكليفه بالدعوة إلى الله .

---

1 القصص : 35 .

✓ هذه الصورة ترسم لنا العناية الربانية التي حظي بها موسى عليه السلام ، فقد أجاب المولى جل جلاله طلبه ، و أزال مخاوفه حين قوّاه بأن أرسل معه أخاه هارون رسولا ، فكان هارون كالعضد الذي تشتد به اليد .

✓ و يمكن أن تعد هذه الصورة استعارة تمثيلية بالإضافة إلى اعتبارها كناية ، و ذلك لما بينهما من تشابه و بسيط اختلاف .

✓ لقد استعملت العرب هذا النوع من التصوير وذلك ما نجده في دعاءها للخير : شدّ اللّه عضدك. وفي ضده ، فت اللّه في عضدك. ومعنى سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ سنقويك به ونعينك ، فإمّا أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد ، وإمّا لأنّ الرجل شُبِهَ باليد في اشتدادها ، فجُعل كأنه يد مشتدّة بعضد شديدة سُلْطاناً و غلبة على فرعون و أتباعه .

✓ كما أن التصوير القرآني جعل من إعانة هارون لأخيه موسى عليه السلام و تأييده بفصاحته ، من أجل إيضاح الحجة و الغلبة على افتراء و طغيان فرعون ، حيث جعلت الإعانة هنا بمثابة شدِّ العضد ، و في هذا تجسيم للمعنوي – المعاونة – بالحسّي – شدُّ العضد – يعطي للآية بُعداً ملموساً و محسوساً للمؤازرة و المعاونة.

الأبعاد الدلالية للصورة في التشبيه

التشبيــه :

لغــة: " الشِّبْه والشَّبه والتَّشبيه : المِثْلُ والجمع أشباه وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله، واشبهتُ فلاناً وشابهتُه واشْتَبَهَ عليَّ وتشابه الشيئانِ واشْتَبَها، اشْبَهَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه وَشبَّهَهُ إياه وشبَّهَهُ به مثله والتَّشْبيه التمثيل " [1] .

اصطلاحـاً : المعنى الاصطلاحي عند البيانيين للتشبيه والتمثيل مطابق للمعنى اللّغوي، وقالوا في تعريفه أقوالاً أحسنها:

"الدّلالة على مشاركة شيءٍ لشيءٍ في معنىً من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرضٍ ما".

أركان التشبيه:

من الواضح أنّ لكلّ تشبيهٍ أركاناً أربعة تدلُّ عليها ألفاظٌ تُذْكر في التشبيه، وقد يحذف بعضها لغرضٍ بياني:

الركن الأول: المشبَّه.

الركن الثاني: المشبَّهُ به.

الركن الثالث: أداةُ التشبيه، وتأتي أداة التشبيه حرفاً، أو اسماً، أو فعلاً.

الركن الرّابع : وجه الشبه ، و هو الصفة أو الأمر الذي يشترك فيها المشبّه و المشبّه به .

1 لسان العرب ، مادة (شبه) .

النموذج الأول:

قال الله ﷻ : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ** أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَانَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنْهارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُون ﴾[1].

المعنى العام:

جاءت الآية بعد قصة البقرة التي ذبحها بنو إسرائيل ، بعد مجادلات طويلة أمر المولى ﷻ أن يضربوا المقتول ببعض البقرة حتى يحيى المقتول، و يعيّن لهم هوية القاتل ، ومع رؤية هذه المعجزة الكبرى التي كان من المفروض أن تزيد في إيمانهم وانصياعهم لنبيهم موسى عليه السلام ، لكن – وللأسف – قست قلوبهم بنحو يحكي سبحانه شدة تلك القساوة .

الصورة:

في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ**﴾ تشبيه.

نوع الصورة:

التشبيه في الآية تشبيه تام الأركان ، المشبه هو قلوب بني إسرائيل ، والمشبه به الحجارة، ووجه الشبه القسوة مع وجود أداة التشبيه الكاف.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ يصور المولى ﷻ و تعالى طبيعة بني اسرائيل المادية المعروف بالصلابة و القساوة حيث شبّه سبحانه وتعالى قلوبهم بالحجارة و قال : إنَّ قُلوبهُمْ ﴿ **كالحِجارَة أَوْ أَشَدّ قَسوَة**﴾ أي : بل أشدّ قسوة ، فكلمة " أو " موضوعة مكان بل .

1 البقـــرة : 74.

- ✓ نجد في هذا التشبيه تشخيصا للقلوب ، و إضفاء صفة معنوية من صفات الأشخاص و هي القسوة ، كما إنّ القلوب هنا إمّا بمعنى النفوس الناطقة ، فعندئذ تكون نسبة القساوة إلى الروح نسبة حقيقية ، أو أن المراد منها هو العضو المودع في الجهة اليسرى من الصدر الذي ليس له دور سوى ضخ الدم وإرساله إلى سائر الأعضاء ، وعندئذٍ تكون النسبة مجازية ، وإنّما نُسبت القساوة إلى ذلك العضو ، لأنّه مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية ، وأوّل عضو يتأثر بالأمور النفسانية كالفرح والغضب والحزن والجزع .
- ✓ ثمّ إنّه ﷻ قد صور قلوب بني اسرائيل تصويراً بديعاً حينتنا وصف قلوبهم بأنّها أشدّ قسوة من الحجارة ، وعلّل تلك الأفضلية و اللين في الحجارة بثلاثة أسباب :

الأوّل : ﴿ **وَانّ مِنَ الحِجارة لَما يَتَفَجَّرُ مِنْه الاَنْهار** ﴾ .

الثاني : ﴿ **وَانَّ مِنْها لما يَشَّقّق فيَخرج مِنْهُ الماء** ﴾ .

الثالث : ﴿ **وَإنّ مِنْها لما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله** ﴾ .

أمّا الأوّل : أي تفجّر الأنهار من الحجارة ، كالعيون الجارية من الجبال الصخرية.

وأمّا الثاني : كالعيون الحادثة عند الزلازل المستتبعة للانشقاق والانفجار المستعقب لجريان الأنهار.

وأمّا الثالث : كهبوط الحجارة من الجبال العالية إلى الأودية المنخفضة من خشية الله .

ولا مانع من أن يكون للهبوط علة طبيعية كالصواعق التي تهبط بها الصخور وعلة معنوية التي كشف عنها الوحي ، وهي الهبوط من خشية الله.

وعلى ضوء ذلك فالحجارة على الرغم من صلابتها تتأثر طبقاً للعوامل السالفة الذكر ، وكأنه يجعل مضمون هذه المعطوفات غير راجع إلى معنى تشبيه القلوب بالحجارة في

القساوة بل يجعلها إخبارا عن مزايا فضلت بها الحجارة على قلوب هؤلاء ، بما يحصل عن هذه الحجارة من منافع ، في حين تعطل قلوب هؤلاء من صدور النفع بها ، و هذه صورة مفزعة لشدة القسوة في قلوب ، هؤلاء المغضوب عليهم .

- ✓ و من عجيب الأمر أنّ بني إسرائيل رأوا بأم أعينهم ليونة الحجارة حيث استسقى موسى عليه السلام لقومه ، فأُمر بأن يضرب بعصاه الحجر ، فلمّا ضربه انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد الأسباط .

النموذج الثاني:

قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ **كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾[1].

المعنى العام:

يروي الله عز وجل قصة فرار بني إسرائيل من فرعون و جنوده ، و لما وصلوا إلى ساحل البحر ضربه موسى عليه السلام بعصاه ففرقه الله معجزة و تأييداً له .

الصورة:

في قوله تعالى : ﴿ **كل فرق كالطود العظيم** ﴾ تشبيه.

نوع الصورة:

﴿ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ تشبيه مرسل مجمل ، ذكرت أداة الشبه وحذف وجه الشبه، أي كالجبل في رسوخه وثباته.

1 الشعـــراء : 63 .

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في الآية تصوير تمثيلي لتلك المعجزة التي اختص الله بها بني اسرائيل لما نجاهم من ظلم فرعون ، فقد صور الله ﷻ ذلك المشهد المهول حين بلغ الماء عنان السماء لما افترق ، واستخدم التعبير القرآني لفظة انفلق في لفتة بلاغية تصور شدة انفلاقه إذ انه كشف طريقا يابسا .
- ✓ فيها تصوير لماء البحر حين أحسر عن الطريق التي سلكها بنو إسرائيل ، ويقول المؤولون : " إنهم لما عبروا ، إنفرق بهم ذلك الماء الرقاق فرقين عظيمين ممتدين كالطودين ، فالأمواج والسفن والجواري لا تكون كالجبال الشاهقة ، والأعلام الباسقة ، وإنما تقضي البلاغة بمثل هذا التعبير ، لكمال التصوير وإرادة التأثير .

النموذج الثالث:

قال الله ﷻ : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ **كَأَنَّهَا جَانٌّ** وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ **كَأَنَّهَا جَانٌّ** وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾[2] .

المعنى العام:

يأمر الله ﷻ موسى عليه السلام بإلقاء العصا فألقاها ، فانقلبت حية عظيمة ولها اضطراب الجان – وهو صغير الحيات – فجمعت هول الثعبان ، ونشاط الجان .

1 النمـــل :10 .

2 القصص :31 .

الصورة:

﴿ كَأَنَّها جَانٌّ ﴾ تشبيه .

نوع الصورة:

تشبيه مرسل مجمل ، ذكرت أداة الشبه ، وحذف وجه الشبه ، فصار مرسلا مجملا .

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في الآية تصوير لمشهد تلك المعجزة التي منَّ الله ﷻ بها على سيدنا موسى عليه السلام ، فكانت تضطرب و تهتز كأنها جان والجان الصغير من الحيات ففي هذا دليل على أن الآية كانت عظيمة لأنه وصف عظمها بالثعبان العظيم ، كما أنها تهتز اهتزاز الصغير لخفتها ولا يمنعها عظمها من ذلك ، و هذا ما جعل السحرة يقفون مشدوهين أمام هذه الآية و علموا أنهم أمام الحق .

النموذج الرابع:

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ **وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا** وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

المعنى العام:

واذكر –أيها الرسول– إذ قال موسى عليه السلام لقومه : يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكًا تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه ، وقد منحكم من نعمه صنوفًا لم يمنحها أحدًا من عالَمي زمانكم .

1 المائدة : 20 .

الصورة:

في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ تشبيه.

نوع الصورة:

تشبيه بليغ حيث ذكر المشبه والمشبه به دون الأداة و وجه الشبه.

الأبعاد الدلالية:

- ✓ في الآية تصوير بليغ للنعمة التي منَّ الله بها على بني إسرائيل وذلك في قوله ﷻ : ﴿ **وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكاً** ﴾ أي : أنتم كالملوك في صفة مشتركة بينكما وهي حرية التصرف في النفس .
- ✓ كما أنّ هذا التشبيه يحمل بُعداً ثانيا حيث أنهم لكثرة الملوك فيهم أو منهم صاروا كلهم كأنهم ملوك لسلوكهم مسلكهم في السعة والترفه ، لذا أسند الملك إلى الجميع .
- ✓ و البُعد الآخر لهذا التشبيه بالملوك أن القوم كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم المولى ﷻ ، فسمى ذلك الإنقاذ ملكاً .
- ✓ و التشبيه في هذه الآية قد يكون أبعد من مجرد تشبيه ، فينتقل من المعنى المجازي إلى الحقيقي ، فقد يقصد المولى ﷻ أنهم ملوك على الحقيقة ، والملك من كان له بيت وخادم ، أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أنه سأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله : ألك زوجة تأوي إليها؟ قال: نعم ، قال : ألك مسكن تسكنه؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، قال : فإن لي خادماً ، قال : فأنت من الملوك .